

نزاهة المنشورات العلمية - فضاء آخر نحو إتيقا ما وراء الفضاء الجامعي - بالنسبة لطالب الجزائري .

أ. محمودي خليفة ، جامعة وهران2

الملخص:

يقاس تطور أي دولة في العالم بما تنتجه الجامعات، من بحوث علمية في مختلف الميادين والمجالات. وهذا الانتاج هو الآخر مربوط بنزاهة هذه البحوث وجديتها. فعدم وجود هذه البحوث يوحي ضمناً بتخلف الدولة وتدهور أوضاعها. فالجامعة التي لا تنتج بحوث أصيلة محكوم عليها بالفشل. وخاصة البحوث في الجامعات العربية، ومن بينها الجزائر. فهل تستطيع هذه الجامعات أن تتجاوز خيبات الأمل في أصالة ونزاهة بحوثها؟ وما هي الآليات الفعالة لتجاوز هذا السقوط، نحو التطور والرقى؟
الكلمات المفتاحية: المنشورات العلمية، الفضاء الجامعي، الطالب.

Abstract:

The development of any country in the world may be measured by the scientific research produced by the university in various fields. This production is also linked to the integrity and seriousness of research. The absence of this research implies the backwardness of the state and the deterioration of its conditions. A university that does not produce original research is doomed to failure, especially research in Arab universities, including Algeria. Therefore, can these universities overcome disappointments in the originality and integrity of their research? What are the effective mechanisms to overcome this downfall, towards development and advancement?

مقدمة:

يبدو أن السرقات العلمية (عن قصد، أو عن غير قصد)، في مختلف المجالات أصبحت تمثل اللعنة الحائمة فوق واقع الفضاء الجامعي الجزائري وحتى العربي، إن عدم وجود النزاهة في أعمالنا البحثية يجعلنا نقع في أزمة البدايات الحقيقة التي تأسست عليها جامعاتنا، وكذا المستوى العلمي الذي نقدمه ونتلاقه في نفس الوقت، وهذا قد يقودنا إلى

لا معقولية النهايات المرجوة من النشر العلمي، ويجعل منه مجرد ركام من المعارف توضع في الرفوف والمكتبات.

هذه الأزمة الحقيقة التي تمر بها الجامعات الجزائرية يجعلها تقع في أواخر الترتيب العالمي للجامعات وأصالة البحث العلمي. ولذا فإن هذا الموضوع يمثل ناقوس الخطر الذي بات يقرع وعلينا أن نسمع رنينه، وأن نقوم جاهدتين لنشر وعي حقيقي لدى الطالب الجامعي الجزائري أو الباحث عموماً، لمعرفة الخطر الذي يهدد البحث العلمي نتيجة هذه السرقات سواء عن قصد أو غير قصد، وأن نسعى جاهدتين لخلق درع إيتقي يحمي الباحث الجزائري خاصة والعربي عامة من الوقوع في هذا الزلل، أو الإغصار الذي يهدد كيان وأصالة البحث العلمي في الجامعات الجزائرية، أنها مهمة ليست بصغيرة تلك التي تقع على عاتق الجهة الوصية. والعلم إذا كان حركة مستمرة نحو الاقتراب من الحقيقة يصبح وليد البحث وإذا كان هذا الأخير هو تنقيب مستمر عن المعرفة بطريقة علمية، فإن كل ضرب من ضروب الحقيقة والبحث فيها يقف اليوم أمامها بوجل وأسى، لأن ثمة اليوم متهمين يزعمون أن الحقيقة قد سقطت، وأن النشر العلمي في دول العالم الثالث لا جدوى منه. وهو مجرد ركام من الكتابة أو هو عبارة عن وردة قد فقدت رحيقه، وذبلت بعد عناء كبير. هذه التشاؤمية قد بلغت حد العنان وأصبحت شيء مشؤوم لا يطاق الحديث فيه، أو لا يرجى الحديث عنه.

وجعلت النشر العلمي في الجامعات العربية عامة والجزائرية خاصة، يدخل ضمن بوتقة من المشاكل تجعل منه مجرد ركام من المعارف والمعلومات، وهذه المعارف إن لم تكن ركاماً كانت مسروقة. ولا عجب أن يدأب هذا التقليد السيئ جامعاتنا اليوم، مما يجعلنا نهيب بسرعة للقضاء على هذه الرتابة، والبحث عن التأثيرات والامتلاءات والتنقيب عن أسباب الركود والدوام والثبات، دوام الحال السيئ وثبات الرداءة وركود البحث العلمي لقد دخلت الجامعات الجزائرية في رواق يكاد يكون أضيّق من سم الإبرة، وذلك نتيجة عدم الابداع في البحث العلمي وإنتاج أفكار جديدة تكون متنفس لها من المأزق الذي تتخبط فيه المجتمعات بريميتها اليوم، إن البحث العلمي في الوطن العربي أصابه سلّ شلّ حركته. ولكن بحثنا في هذا المقال الوجيز ليس التأكيد على هذا الواقع المر الذي نعاني منه، وإنما من أجل البحث في أسباب هذه المشكلة الحقيقة التي يعاني منها البحث العلمي في الوطن

العربي، وخاصة فيما يتعلق بأصالته ونزاهته. وعليه يحق لنا أن نتساءل على النحو التالي :
ما مدى موضوعية النشر العلمي في الجامعات الجزائرية؟ وماهي المشاكل التي تحول دون
نزاهته؟ وهل يمكن تجاوز العقبات التي تعترض تحقيق أصالة البحث العلمي؟.

1/ مفهوم البحث العلمي:

وقبل الخوض في هذا المعترك والمتمثل في نزاهة النشر العلمي، كان لابد منا تحديد
مفهوم البحث العلمي، وكما كان إيرك فايل يردد دائما إن خطأ، خطأ مفهوم. لذا وجب
تجديد المفهوم.

البحث العلمي هو : " محاولة لاكتشاف المعرفة والتنقيب عنها وتنميتها وفحصها
وتحقيقها بتقصي دقيق أو نقد عميق، ثم عرضها عرضا مكتملا بذكاء وإدراك يسير في
ركب الحضارة العالمية، ويسهم فيه إسهاما حيا شاملا (1)". أو هو "الاستخدام المنظم
لعدد من الأساليب والاجراءات، للحصول على حل أكثر كفاية لمشكلة ما، عما يمكننا
الحصول بطرق أخرى وهو يفترض الوصول إلى نتائج ومعلومات، أو علاقات جديدة لزيادة
المعرفة للناس أو التحقق منها.(2)"

"فالبعض يرى أن البحث استقصاء منظم يهدف إلى اكتشاف معارف جديدة
وموثقة بعد الاختبار العلمي لها، بينما يرى آخرون أن البحث العلمي هو التحري
والاستقصاء المنظم الدقيق، الهادف للكشف عن حقائق الأشياء وعلاقتها ببعضها ببعض
وذلك من أجل تطوير الواقع الممارس لها فعلا وتعديله.(3)"

انطلاقا من التعاريف التي سبق تقديمها، يظهر أن البحث العلمي استقصاء
للمعرفة، وتحري جلي ودقيق لها. قصد تطوير الإنسانية في كل مجالاتها، المختلفة والمتنوعة.
وحتى يكون البحث العلمي علميا ونزيها لابد أن تتوفر فيه العلمية والموضوعية، ذلك
انطلاقا من أول خطوة فيه. وهي التعرف وتحديد لما يجب البحث فيه، إلى آخر خطوة وهي
— اكتشاف الحقائق —، والسؤال الذي يؤرقنا هل كانت بحوثنا العلمية الأكاديمية بحوث
نزاهة ذات بعد إيتيقي؟ وهل كانت موضوعية بما فيه الكفاية؟

2/ إيتيقا الموضوعية في النشر العلمي :

الانفصال الذي تعانيه اليوم بحوثنا من الموضوعية، يجعلنا على شفى جرف من
العدمية، هذا الطابع اللامتناهي للانفصال داخل مفهوم دوري، يجعلنا عاجزين عن

التقدم قدما والوصول بركب الحضارة. "ذلك أن تكريس الانفصال يرمي إلى أن يغدو التفرد ضعيفا أمام التعدد، والتوحد أمام شساعة التنوع، والاقتصار على الأنا فقرا أمام غنى الآخر، والانطواء على الذات سدا أمام انفتاح الآفاق، والانغلاق على النفس حدا أمام لانهائية الأبعاد الممكنة، والاستقرار عند مقام بعينه ضياعا أمام رحابة التنقل والاقتصار على الحاضر هزالا أمام كثافة الزمن (4)" إن كل هذه المتناقضات سببها عدم أصالت البحث العلمي في جامعاتنا. وافتقاره للموضوعية.

حيث تعنى خاصية الموضوعية "أن تكون خطوات البحث العلمي كافة قد تم تنفيذها، بشكل موضوعي وليس شخصي متحيز، ويحتم هذا الأمر على الباحثين أن لا يتركوا مشاعرهم وآرائهم الشخصية تؤثر على النتائج التي يمكن التوصل إليها، بعد تنفيذ مختلف المراحل أو الخطوات المقدرة للبحث العلمي (5)". إن المصيبة الكبرى التي تميز بحوثنا اليوم هو مزجها بالأهواء الشخصية، والتطلعات الذاتية بل قد يصل الأمر إلى حد أن يضع النتائج قبل البدء في عملية البحث أصلاً. بل والمصيبة أعظم أنه كان من زملائي الدارسين من يتوارى عن البحث في قضية ما، أو فكر فيلسوف ما، نتيجة جانب شخصي محض. أو أن الأستاذ المشرف. أو الأستاذ الذي يقتدي به لا يحب القضية تلك، أو الفيلسوف ذاك. وهذه الأهواء التي قد يتسبب فيها الأساتذة أعينهم، جعلت البحث العلمي يقع في الأسقام وهو يتولد كل مرة تختلط فيه، على نحو حاسم وفجائي أعراق وطبقات أجيال، ويتولد جيل جديد توارث مقاييس وقيما متباينة تسري في دمه، وتجعل كل شيء فيه قلقا واضطراباً وشكاً وتفعل فيه فعل عائق، إن هذه الأهواء الشخصية جعلت من البحث العلمي في بلداننا يقع في بوتقة اللاجدية واللاموضوعية.

الطالب يقدر في هذا نتيجة عدم وعي منه، أو نتيجة توجيه من يدرس عنده وهنا تكمن لا أخلاقية البحث العلمي "وهذا يعني اللجوء إلى التحريف أو التشويه للنتائج التي تم التوصل إليها، لخدمة أغراض شخصية للإدارة أو الباحث، وبأي شكل من الأشكال. ويضاف إلى ذلك أن الباحثين يجب أن يتصفوا بالسلوك العلمي باستمرار لمعرفة الحقيقة بعيدا عن الالتزامات أو التشدد وراء آرائهم ومشاعرهم الشخصية، بغض النظر عن النتائج التي يتم الوصول إليها لوصف الظاهرة أو القضية موضوع البحث ومعالجتها (6)". إن غياب الموضوعية هذه، وغياب أخلاقيات البحث وتدخل الأهواء الشخصية قد قضى

على أصالة البحث العلمي في جامعاتنا العربية، والمثال على ذلك كثير ألم تمنع دراسة الفلسفة في العربية السعودية نتيجة تشدد طائفي لا معنى له، أو لخدمة السلطة السياسية، وبالتالي البحث العلمي هو الآخر وفق هذا المنطلق لا معنى له. غياب هذا الموضوعية أدى إلى غياب الأصالة والابتكار للذان هما الشرطان الواجب توفرهما في البحث العلمي:

- الأصالة يقصد بذلك السلوك العلمي في كل طرق البحث ووسائله ومنهجه لتحقيق الهدف منه، أصالة وصرامة جدلية لا تخطئ في أي خطوة، أمرا أصبح غائبا عن تجربة معظم المفكرين والباحثين، وبل أمرا لا يصدقونه إذا ما دار الكلام عليه في حضرتهم وينظرون إليها على أنها انصباع محرج.

- الابتكار وذلك يعمل على إضافة جديد أو بالكشف عن شيء جديد، ولكن غياب الأصالة والموضوعية وتدخل الأهواء الشخصية والمصالح، قد دحض الابتكار بكل أشكاله وأنواعه وتعدداته، بل أصبحت بحوثنا ابتكار في الرداءة.

فإذا اجتمع بالبحث هذين الشرطين الغائبين اليوم، الأصالة والابتكار كان بحثا على غاية في الأهمية، وإذا توفر عنصر واحد كان على درجة ما من الجودة، وإذا خلا البحث من الأمرين كان بحثا رديئا لا يستحق حتى الالتفات إليه. (7) وغياب هذا كله جعل من البحوث التي نقدمها مجرد ركام من المعلومات توضع في رفوف المكتبات، كما قضى على الهدف من البحث العلمي، إن البعد الأخلاقي للموضوعية يجعل من البحث العلمي تاج يوضع على كل باحث ويجعل منه ذا أهمية وفائدة.

3/ المشاكل التي تحول دون نزاهة البحث العلمي:

سأحاول في هذه العجالة. وفي هذه الأسطر تبرير المشاكل والممارسة الوقحة بعض الشيء، التي دأبت عليها البحوث الأكاديمية عندنا. وتبيان الخلل الذي أدى إلى تدهور مستوانا العلمي والمعرفي، والابتعاد عن روح البحث الصحيح، والميل إلى تجميع ومضات لا تخضع لشروط العلمية والأخلاقية في البحث والنشر العلمي، ومن بين هذه المشاكل نجد: - قلة الوعي لدى الطالب الجامعي: إن الفكر الذي يمتلكه الطالب الجزائري فيما يخص النشر العلمي وشروطه، يكاد يكون ضئيل ومقاومة لا تكافئ في عنادها لا صلابة الأخطاء ولا قوة الأوهام، بل يصل به الاستهتار بالبحث إلى درجة الترهات واللامعقول

والحماقات على حد تعبير جيل دولوز. لذا لابد من نشر ثقافة البحث العلمي في أوساط طلبتنا الجامعيين حتى يتسنى لهم إنشاء بحوث في المقام المعهود.

-ضعف التوجيه من طرف الجهة الوصية: إن التلقين الذي تقوم به الجامعات اليوم هو تلقين أجوف لا يرتقي إلى التطلعات التي ترفع من مردود البحث العلمي، كما أن الدور الذي يقوم به بعض الأساتذة لا يمكن أن يكون جسرا لنزاهة البحث العلمي، فمنهم من هو سارق في حد ذاته للمعلومات فما بالك بالطالب، لذا لابد من تجاوز هذا كله " فلا مكان في الجامعة لتلقين الأجوف أو تقديم المعلومات مبعثرة مشتتة، وإنما في الأبحاث الجادة. والجهد الكبير الذي يقوم به الأستاذ والطالب رغبة في البحث عن الحقيقة والكشف عن الجديد المبتكر لإثراء الحياة وتعميقها، داخل قاعات العلم وخارجها حيث دنيا الناس التي تتطلب كل نافع ومفيد.(8)"

-عدم إهتمام الدولة بالبحث والنشر العلمي: ذلك أن النشر العلمي يتطلب وسائل وإمكانيات متعددة، ذلك أن الأفكار تولد ثم تكبر وقد تموت، ولأنها كائنات حية فهي تحتاج إلى بيئة تعيش فيها وتألّفها، وإذا لابد من تفرغ لهذا العمل الجليل ودقة في تفكير وتوفير الإمكانيات اللازم. "وإذا كان ذلك فالعمل في الحقل الجامعي يتطلب دقة في التفكير ونظافة في السلوك ومواهب خاصة تتفرغ لهذا العمل الجليل الذي هو صناعة الرجال والأخذ بأيدي هؤلاء الطلاب وتيسير مهمتهم. ووضع قواعد البحث بين أيديهم حتى تتمكن الجامعات من الاستفادة من هؤلاء الطلاب والإفادة بهم.(9)" وبالتالي على الدولة والجهة الوصية تقديم كل المساعدات والإمكانيات من أجل تطوير البحث العلمي في محيطنا العربي .

-فشل الإصلاحات التربوية للتعليم العالي "على الرغم مما عرفه التعليم العالي بالجزائر من تطورات وإصلاحات استهدفت تقويم الاعوجاج وتحقيق التكامل بين البرامج والتوجيهات التكوينية والتنموية إلا أن هذه الإصلاحات شخّصت بالفاشلة، من طرف كثير من الدارسين المجتهدين في هذا المجال.(10)" وذلك نتيجة أن هذه الإصلاحات لم تستجب لاحتياجات المجتمع الجزائري نتيجة بعدها عن واقع الفضاء الجامعي، وكذا عدم توافقها مع ثقافة الطالب الجزائري، وذلك "لأنها كرست طوال هذه السنين مبدأ الكم على حساب الكيف وزد إلى ذلك ارتفاع عدد الخريجين والبطالين، الأمر الذي نجم عنه أيضا نقص في

التأطير سواء من حيث الكمية أو النوعية (11)". كل هذه المؤشرات تؤكد على فشل الإصلاحات ورداءة البحوث العلمية أيضا هي الأخرى.

-عدم توافق مخرجات الجامعة مع سوق العمل: يوجد انفصال تام بين التعليم الجامعي وسوق العمل في الجزائر، وهو ما لا يتماشى ومجتمع المعرفة المعاصرة مما يخلق فجوة بين المعارف الأكاديمية التي يتلقاها الطالب والمكاسب المهنية التي يتلقونها، وهذا يجعل من الطالب لا يلقي قيمة للبحث والنشر العلمي، نتيجة لأنه لا يستفيد منه في الحياة المهنية فيجعل من البحث العلمي مجرد خطوة شكلية لكسب الشهادة فقط، وهذا جعل من بحوثنا مجرد تجميع لمعلومات في أوراق مصفوفة.

4/ الحلول المقترحة لتجاوز ركود النشر والبحث العلمي:

إن من يصعد الجبال الشواهد للمعرفة، وينظر إلى كل المآسي التي يتخبط فيها النشر العلمي في الوطن العربي، يضحك من كل هذه المآسي سواء كانت مسرحيات أو حقيقة. (على حد تعبير نيتشه). ولتجاوز هذه العقبات التي تحول دون نزاهة النشر والبحث العلمي، نقترح مجموعة من الحلول نرى أنها مجدية نوعا ما، وتتمثل في أليات أخلاقية نظرية وأخرى عملية تطبيقية:

1-أليات نظرية أخلاقية:

-أهما الحياء الفكري، والأمانة في الاقتباس وعدم القذف والمهاجمة لعلماء آخرين والاعتراف بفضل السابقين والمعاصرين والمصارعة إلى تصحيح الأخطاء بروح رياضية لا بدافع الشهرة، حتى لا يفقد البحث مغزاه الأساسي من هدف واتجاه. (12)
-يجب على الجهة الوصية والمتمثلة في الجامعة أو وزارة التعليم العالي، أن تقوم بندوقيات فكرية وملتقيات من أجل توعية الطالب الجامعي بأمانة البحث العلمي ونزاهته.
-وضع رؤية جديد ورسالة تحقق هذا الهدف المنشود، تقود الأفراد إلى ضرورة تطوير البحث العلم ونزاهته.

— على الطالب أن يرسم لنفسه الهدف الحقيقي من البحث، "فالهدف من البحث هو المرأة الحقيقية للبحث وهو الذي يدفع القارئ إلى الاستمرار في قراءة البحث، بل هو الحكم الحقيقي على السلامة العلمية للبحث. (13)"

2-أليات عملية تطبيقية:

-الجامعة مطالبة بإقامة جسور مع جامعات دول أخرى تساعد على تنمية روح وأصالة هذا العمل النبيل، وابتكار المناهج التي تساعد على تطوير البحث العلمي في الجزائر.

-إعادة النظر في فلسفة الجامعة ومناهجها ومشاريعها، التي تقدر تكون غير فعالة وهي السبب الرئيسي في تدهور البحث العلمي في الجزائر.

-على الدولة أن تشجع البحث العلمي، وذلك بفتح مناصب لخريجي الجامعات حتى يكون لدراسة والجد في البحث معنى.

الخاتمة:

خلاصة القول أن في والبحث والنشر العلمي رؤية حرة والروح تسمو، لكن ثمة أيضا ضربا معاكس ونظر إلى أسفل، هذا هو واقع وحال البحث والنشر العلمي في الجزائر، وإن عدم نزاهته تجرنا بريائنا المتكلف والمحتشم إلى ما وراء الشعاب الجدلية، يا لها من تمثيلة تجعلنا نبتسم ونحن نراقب المدافعين عن النشر الأصيل في الجزائر وهي تؤدي حيلها اللطيفة على حد تعبير نشة، وهذا سببه العديد من المشاكل التي تعددت وتنوعت سواء كان سببها الطالب نتيجة عدم وعي وحرص منه، أو سببها إطارات الجامعات وعدم القيام بواجبهم كما ينبغي، أو سببها الدولة نتيجة السياسة المنتهجة. فهي أسباب متعددة وفي النهاية هدف واحد رداءة وعدم نزاهة البحث في الجزائر.

توجد العديد من الأليات التي تمكن من تجاوز هذه الحلقة المفرغة التي يعاني منها النشر في الجزائر، سواء نظرية أخلاقية يتقيد بها الباحث وتحت عليها الجهة الوصية أو أليات عملية نظرية تنتهجها وزارة التعليم العالي، وفي أولها قانون الردع الذي يعاقب وبشدة السرقات العلمية، ويتخذ ضدها قوانين صارمة تحد من هذه العملية السيئة. فهل تستطيع الجامعة الجزائرية الخروج من هذا الركود العلمي؟ وتحقيق جيل نزيه إتجاه البحث والنشر العلمي، يخرجنا من بؤرة المشاكل إلى ساحة الحضارة؟ إنها أسئلة في مجملها لا تجيب عنها إلا الأيام القادمة.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1_ اثريا عبد الفتاح ملحق: منهج البحوث العلمية للطلاب الجامعيين، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1960، ص24
- 2_ ماثيو جيدير: منهجية البحث العلمي، ترجمة ملكة أبيض، تنسيق محمد عيد (السد غانم)، (د ن) (د ت)، ص.15
- 3_ محمد عبيدان وآخرون: منهجية البحث العلمي القواعد والمراحل والتطبيقات، دار وائل للنشر، عمان، ط2، 1999، ص.4
- 4_ عبد السلام بنعبد العالي: الفلسفة أداة للحوار، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 2011، ص.14
- 5_ محمد عبيدان وآخرون: منهجية البحث العلمي القواعد والمراحل والتطبيقات، مرجع سابق، ص.8
- 6_ المرجع نفسه، ص.8
- 7_ محمد الصاوي محمد مبارك: البحث العلمي (أسسه وطريقته كتابته)، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط1، 1992، ص.25
- 8_ عبد الرحمن عميرة: أضواء على البحث والمصادر، دار الجيل، بيروت، (د ت)، ص.26
- 9_ المرجع نفسه، ص.26
- 10_ صالح حسين: واقع الجامعة الجزائرية وتحديات الألفية الثالثة، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، العدد7، جامعة المسيلة، الجزائر، ص.167
- 11_ المرجع نفسه، ص.167
- 12_ رجاء وحيد دويدري: البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية، دار الفكر، دمشق، ط1، 2000، ص.64
- 13_ محمد عبد الفتاح الصيرفي: البحث العلمي الدليل التطبيقي للباحثين، دار وائل للنشر، عمان، ط1، 2002، ص.68